ولما تزوج ، لم تسر حياته الزوجية حسب النمط اليهودي التقليدي الذي يراعي تماسك الاسرة . وهذا أدى في النهاية الى وقوع الفواجع . فان ابنه اعتنق ثلاث عقائد مسيحية ، قبل أن يعود الى اليهودية . ثم انتحر وهو في بداية الاربعين . اما ابنته ، فقد عاشت حياة « غير منتظمة » (على حد قول براهام الذي لا يوضح اكثر) ثم ماتت ، غير متزوجة ، وفي ظروف فاجعة ، بمدينة بوردو بفرنسا . وقد انتحر ابن هيرتزل في يوم جنازتها ، لانه « لم نفسه على اهماله لها . » ويذكر براهام انه يقال بأن ابن هيرتزل لم يكن مختونا ، وان هذه الاشاعة التي لا يمكن تأكيدها او نفيها صدمت اليهود الذين يحرصون على ختن أولادهم .

اما ابنة هيرتزل الصغرى ، فقد قضت سنوات عديدة في مستشفى الامراض العقلية ، ثم لاقت حتفها مع زوجها في افران الغاز النازية . وعندما علم ابنها الوحيد بالطريقة التي مات بها والداه ، قفز من بناية في واشنطن عام ١٩٥٢ ، وهكذا انمحى نسل هيرتزل . ومع ان براهام لا يقول ذلك صراحة ، الا انه بوضوح يعتبر هذه الفواجع كلها عقابا ربانيا لهيرتزل على ابتعاده عن الدين اليهودي ، وبنائه الدولة الصهيونية العتيدة على أسس علمانية قومية مستعارة من بسمارك وفخته وريتان ، وليس من التعاليم اليهودية الالهية torah . ويشير براهام الى ان عددا كبيرا من الصهيونيين الاوائل كانوا من معادي السامية ، وهدفهم في انشاء دولة يهودية لم يكن الا محاولة مستترة لبعث شعب جديد لا يحمل الصبغة اليهودية التقليدية التي يمقتونها كل المقت . وبين هؤلاء ، علاوة على هيرتزل نفسه ، كل من ماكس نورداو وآحاد هاعام (آشر هنزبرغ) والسدكتور حاييم وايزمن .

ويهاجم براهام خضوع رجال الدين اليهودي للسلطة السياسية في اسرائيل ، قائلا ان ذلك يتنافى تماما مع أصول التعاليم الدينية التي كانت دائما تعتبر الحاخامات المرجع الاعلى للشؤون اليهود . اما اليوم ، فاصبح الحاخام ، برأيه ، مجرد موظف يحرص على عدم اغضاب الجهة التي تعينه في منصبه وتدفع له راتبه . ويقول المؤلف انه احتكم الى رجال الدين ابان ازمته مع السلطات الاسرائيلية ، الا انه وجد تهيبا ملحوظا منهم ، وعدم رغبة في التورط بنزاع مع حكومة اسرائيل وربيبتها المنظمة الصهيونية . وهذا الموقف اعتبره خروجا مخجلا على التقاليد اليهودية ، وعلى نص الدين وروحه . صحيح انه وجد تفهما لموقفه من قبل الكثيرين من رجال الدين وغير رجال الدين ، الا ان هذا التفهم والتعاطف كان على الصعيد الشخصي الشفهي ولم يترجم الى افعال . فقد حوكم براهام وادين ولم تنشر صحيفة يهودية واحدة دفاعه عن نفسه ، مما اضطره للجوء الى صحف « الغويم » ، فاغتنم مثلا الجدل الدائر على صفحات مجلة الاذاعة البريطانية « ذي ليسنر » حول موقف البي بي سي من العرب ، ليفضح اسلوب الصهيونيين في خنق أي رأي يتعارض مع آرائهم .

وينقسم الكتاب الصغير الى ثلاثة أقسام : القسم الاول يدور حول الازمة العاصفة التي اثيرت حوله في استراليا وادت الى غلق الصحيفة التي كان يكتب فيها . والقسم الثاني يدور حول هيرتزل وبقية الصهيونيين الاوائل الذين أسسوا حركة علمانية خارجة على الدين اليهودي . أما القسم الثالث ، فيتضمن آراء المؤلف حول الصراع العربي الاسرائيلي ، وفيه يبرز براهام مؤيدا متحمسا للكيان الصهيوني . ويحمل الفصل الاخير عنوان الكتاب : اليهود لا يكرهون . ويفاجيء القارىء عندما يصل الى هذا الفصل ، اذ يجد بأن المؤلف جاد في عنوانه وليس ساخرا ، باعتبار ان الرجل الذي عانى من بني قومه مثلما هو عانى ، لا يمكن الا ان يكون ساخرا عندما يختار هذا العنوان لكتابه ، وللفصل الاخير فيه . ولكن لا ، فان مارك براهام لا يعترف بوجود شيء اسمه الكراهية اليهودية للعرب ، بل الامر على نقيض ذلك تماما ، في رأيه . وباستثناء عصابة الارغون التي يختلق لها المعاذير ، فالكراهية والتعصب والارهاب هي كلها أمور صادرة عن العرب « المتطرفين » . وهنا يبرز زيف هذا الكاتب وريائه ، اذ بينما تزخر بقية الفصول باستشهادات لا تحصى ، استقاها من الكتاب اليهود وغير اليهود ليدلل بها على صحة نظرياته ، نجده في هذا الفصل ينتقي الشهادات من عتاة الصهاينة ذوي الوجهين ، مثل جيريميا بن جيكب ، ليؤكد على ان اليهود تعلموا دائما ان يحبوا العرب ، بل علموا اولادهم أيضا على ان يحبوهم ، ولكن وأسفاه ، فالشوفينية العربية قد نفثت فيها الفاشستية